ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(182)
هذا هو الحسين (ج15)
القرآنُ يرسمُ لنا صوراً من وقائع الرجعة وحالاتها عبر التأريخ الإنساني (ج2)
الاثنين : 29/ذو الحجة/1442هـ - الموافق 9/8/2021م
عبد الحليم الغِزّي

كنتُ معكم في جولةٍ بينَ آيات الكتابِ الكريم في الحلقةِ الماضية وهوَ يَرسِمُ لنا صُوراً عن الرَّجعةِ في واقع الحياةِ الإنسانيَّةِ عِبرَ تاريخها..

القُرآنُ يُحدِّثنا أيضاً عن رجعةِ بعض الطيورِ في واقعةٍ ترتبطُ بإبراهيم النَّبي الخليل، إنَّها سورةُ البقرة وحادثةٌ أخرى أيضاً من حوادث الرَّجعةِ في سورةِ البقرة، نذهبُ إلى الآيةِ الستين بعدَ المئتين بعدَ البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾، بحسبِ أحاديثهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين؛ حينما رأى إبراهيمُ مَلَكوتَ السَّماواتِ والأرض، والمرادُ من الملكوتِ ما وراء المحسوسِ من المخلوق من الخلق، مثلما نقولُ عن المسرحِ هناكَ خشبةٌ للمسرح يُعرَضُ عليها ما يُعرَض ولكن للمسرحِ كواليس، وكواليسُ المسرح يجري فيها تدبيرُ كُلِّ شيءٍ لهذهِ المسرحيّة الَّتي تُعرَضُ أمامَ الجمهورِ على الخشبة، مَلَكُوتُ السَّماواتِ والأرض ما وراء عالم الحس، ما وراء عالم الطبيعة، إنَّهُ عالمُ الأمر الَّذي يكونُ باطناً لعالمِ الخلقِ المحسوسِ هذا، اللهُ سُبحانهُ وتعالى أرى إبراهيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاواتِ والأرض، قطعاً في مستوىً من المستويات، فمثلما عالمُ الخلقِ وعالمُ الحسِّ على طبقاتٍ وعلى مستويات، نحنُ حينَ ننظرُ إلى ظاهرِ الأشياءِ فإنَّنا نتلمَّسُ منها ما نتلمَّسُ بحدودِ حواسِّنا، نحنُ بحواسِّنا هذهِ لا نستطيعُ مثلاً أن نرى التفاصيل الصغيرة والجزئيّة لهذهِ المادّة الَّتي نراها بأعيننا، إنَّنا لا نرى شيئاً من الجُزيئاتِ من الذَّرَّاتِ من الالكتروناتِ إلى غيرِ ذلك، لا نرى شيئاً من ذلك، ويستمرُّ الكلامُ في هذا الاتجاهِ في عِدَّةِ طبقات، من جملةِ ما رآهُ إبراهيم وهوَ يطّلعُ على تفاصيلِ ما يجري في عالم الحسِّ وما يجري في عالم الملكوت، في ما ورائيّاتِ عالم الحسّ، فرأى في جهةٍ من جهات الأرض رأى جيفةً كبيرةً، والمرادُ من الجيفةِ جثّةُ حيوانٍ ميّت، قد تكونُ جثّةَ لحوتٍ كبير، لهذا الحوت الَّذي يُقالُ لهُ الحوتُ الأزرق، من أكبرِ الحيواناتِ على وجه البسيطة، الروايةُ ما قالت هذا، وإنَّما أنا أُقرِّبُ لكم ما جاءَ في الروايةِ على سبيلِ المثال.

إبراهيمُ رأى جيفةً جثّةَ لحيوانٍ كبير بعضها غاطِسٌ في الماء وبعضُها على اليابسة على الساحل، ورأى الحيوانات البحريّة تأكُلُ من تلك الجيفةِ من الأسماكِ وغيرها، تأكلُ من تلكَ الجيفةِ في الجانبِ الَّذي كان غاطساً في الماء، ورأى الحيوانات البريّة تأكلُ من تلك الجيفةِ في الجانبِ الَّذي كان على اليابسة، وبعد ذلك نظر إلى الحيوانات البحريّةِ بعد أن أكلت من هذهِ الجيفةِ فإنَّ بعضها أكلَ البعض الآخر، كما يُقال الأسماكُ الكبيرةُ تأكلُ الأسماك الصغيرة، ورأى الأمر نفسهُ في الحيوانات البريّةِ فإنَّ تلكَ الحيوانات بعد أن أكلت من تلكَ الجيفةِ ورجعت إلى أماكنها أكلَ بعضُها بعضاً، وهذا هو حالُ الحيوانات، حالُ الحيوانات في البحرِ دائماً هكذا وفي البرِّ دائماً هكذا.

فإبراهيم سأل الله: هذهِ الحيواناتُ إذا ما ماتت فكيفَ ستعودُ مرَّةً أخرى؟! كيف ستعودُ مرَّةً أخرى إذا ما حُشرت، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؟!

وهذا الأمرُ يرتبطُ بالإنسانِ أيضاً، فإنَّ الإنسانَ يأكلُ من مُختلفِ الحيوانات، والحكايةُ تفاصيلها كثيرةٌ، فإبراهيمُ أرادَ أن يطّلع على الكواليس، هكذا تُحدِّثنا الروايات، والمرادُ من الاطمئنان هنا هو هذا، هو لم يكن شاكّاً في قدرة الله سبحانهُ وتعالى، وإنَّما أرادَ أن يطّلع على كواليس الأمور مثلما أطلعهُ الله على بقيَّةِ الكواليس قطعاً بحسبِ مقامهِ..

﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** - فهنا أمرهُ الله سُبحانه وتعالى، قطعاً عِبر الوحي عِبر الملائكة، أمرهُ بتجربةٍ علميَّةٍ عمليَّةٍ واقعيَّة - **قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ** - الشيءُ الطبيعيُّ والمنطقيُّ أنَّ إبراهيم سيذهبُ مُختاراً لطيورٍ مُختلفةٍ في الأحجامِ والأشكال، رُبَّما اختلفت الرواياتُ في ذكرِ هذهِ الطيور وقد يعودُ الاختلافُ إلى الرُّوّاة، لكن هناك في رواياتنا ذِكرٌ لمجموعةٍ من الطيور.

الله قال لهُ: **"فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ"**، الروايةُ عن إمامنا الباقرِ من أنَّ إبراهيم جاء بطائر النعامة، طائرٌ لا يطير، النعامةُ طائرٌ وهي معدودةٌ في الطيور لكنَّها لا تطير، وجاء بالطاووس، وجاء كذلك بالوزّةِ، والوزُّ هوَ البطُّ العراقيُّ الَّذي عُرِفَ في بلاد الرافدين منذُ قديم الأزمان وانتشرَ بعدَ ذلكَ في مختلفِ بقاع العالم، وبالديك، ﴿**قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً**﴾.

"فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ"، إلى بقيَّةِ ما جاء في الآيةِ الكريمة برنامجٌ قام بهِ إبراهيم فماذا فعل؟ ذبحَ هذهِ الطيور، وبعد ذلك نَتَفَ ريشها، وبعد ذلك احتفظ برؤوسها عندهُ، ثُمَّ ماذا فعل؟ قَطَّع أجسام هذهِ الطيور الَّتي ذبحها، نَتَفَ ريشها وجمعهُ في مكانٍ عنده، قَطَّع أجسامها ثُمَّ ألقاها في مِهراسةٍ، المِهراسةُ الوعاءُ الكبير الَّذي تُهرَسُ فيهِ الأشياء، بتعبيرنا العراقي سوَّاهِنَّ قيمة.

وماذا فعلَ بعد ذلك؟ قسَّمها إلى عشرةِ أقسام بعد أن اختلطت وامتزجت، ومن الرواياتِ يبدو أنَّهُ كانَ في تلكَ الحادثةِ في منطقة الأردن، فكانت هناك جبال تلال سلسلةٌ جبليّة فيها عشرةُ رؤوس قَسَّم ذلك اللحم المهروس إلى عشرةِ أجزاء وضع كُلَّ جُزءٍ على رأسِ جبلٍ من تلك الجبال.

قد يقولُ قائلٌ: وكيفَ استطاعَ أن يعملَ ذلك؟!

ما هو إبراهيمُ الخليل، مثلما كان يرتفعُ بهِ الحجر حينما كان يبني الكعبةَ في مكَّة مع ولدهِ إسماعيل وكانَ شيخاً كبيراً، والكعبةُ بناءٌ عالٍ، فكيفَ كانَ يستطيعُ أن يُواصِلَ البناء وأن يرتفعَ في بنائها؟! كانَ يقفُ على حجرٍ وهذا الحجرُ يرتفع بهِ، وهذا الحجرُ هو الموجودُ في مقامِ إبراهيم..

- **ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً** - ثُمَّ قُلْ يا أيُّها الطاووس أقبل إليَّ، يا أيَّتُها النعامة أقبلي إليَّ، يا أيَّتُها الوزّةُ أقبلي إليَّ يا أيُّها الديكُ أقبل إليّ، كانت الرؤوس بمناقيرها محمولةً بيدِ إبراهيم الخليل، ووجَّه أمرهُ قائلاً لتلكَ الطيورِ أن تُقْبِلَ إليه وهوَ يرى ذلك بأُمِّ عينيه، من أنَّ الأجزاء بدأت تتطاير من على رؤوس الجبال العشرة، لأنَّهُ قد هَرَسَ لحمها جميعاً، بدأت هذهِ الأجزاءُ تتطايرُ وترتفع، ويلتصقُ بعضها ببعض، بشكلٍ تدريجيٍّ بدأت تتكوّنُ أجسامها في الهواء بمنظرٍ من عينيه، وبمرأىً من حواسّهِ، ها هي النعامةُ تجتمعُ أجزاؤها وتتلاصقُ معَ بعضها، لكن من دونِ رأس، فإنَّ الرؤوس كانت بمناقيرها مَحمولةً بيديه، الريشُ أيضاً الَّذي جمعهُ في مكانٍ واحدٍ بدأ يتطايرُ وكلُّ لونٍ من ألوان الريشِ اتَّجهَ باتجاهِ الجسم المناسبِ له، فريشُ الطاووس ذهبَ إلى جسم الطاووس، وريشُ الديكِ ذهبَ إلى جسم الديك وهكذا، تكوَّنت الأجسامُ بكاملها بأرجلها بريشها وأقبلت باتجاهِ إبراهيم الخليل، فلمَّا جاءهُ الطاووسُ من هذهِ الجهةِ مثلاً قدَّم لهُ رأس النعامة فرفض الطاووسُ أن يلتصق برأس النعامة، وإنَّما أخذَ ينحرفُ باتجاهِ رأسهِ الَّذي كانَ يحملهُ إبراهيمُ بعيداً عن جُثَّتِهِ، عن هذهِ الجُثَّةِ الَّتي تكوَّنت، فأخذ يميلُ إلى رأسهِ حتَّى التصق برأسهِ، وهكذا الوزّةُ قرَّبَ إليها رأساً ما هوَ برأسها فراحت تميلُ إلى رأسها فالتصقت تلكَ الأجسامُ بتلكَ الرؤوسِ بمناقيرها، وعادت إلى حالتها الأولى، هذهِ رجعةٌ واضحةٌ وواضحةٌ جِدَّاً، نحنُ لا نستغربُ هذا!

نقرأُ في بعضِ الأخبارِ عن النَّبي جرجيس، النَّبيُّ جرجيس حكايتهُ طويلةٌ وأنا لستُ بصددِ الحديثِ عن تاريخِ هذا النَّبيّ، لكنَّني أُشيرُ إلى ما يُناسبُ هذهِ الحلقة، ففي بعض الأخبارِ والأحاديث من أنَّ جرجيس النَّبي قُتِلَ أربعَ مرَّات، وفي كُلِّ مرَّةٍ يُقتَلُ بطريقةٍ غريبة، يعودُ إلى الحياة، عادَ إلى الحياة بعدَ القتلةِ الأولى، وعادَ إلى الحياة بعد القتلةِ الثانية، وعادَ إلى الحياة بعدَ القتلةِ الثالثة، ولكنَّهُ لَمَّا قُتِلَ في المرَّة الرابعة لم يرجع، سيرجعُ في زمانِ الرَّجعةِ العظيمة، طاغوتُ عصرهِ هوَ الَّذي فعلَ بهِ ذلك، حكايتهُ طويلةٌ النَّبيُّ جرجيس، قبلَ أن يقتلهُ ذلكَ الطاغوت، من طواغيتِ بلادِ فلسطين، قبلَ أن يقتلهُ عذَّبهُ عذاباً عجيباً غريباً، قامَ ذلكَ الطاغوتُ فقتلهُ قَتَلَ النَّبيَّ جرجيس بالتقطيع قَطَّعهُ تقطيعاً، قَطَّعهُ وهوَ على قيدِ الحياة، حَوَّلهُ إلى قطعٍ إلى مجموعةٍ من القُطعِ الصغيرة، وماتَ النَّبيُّ جرجيس، وألقى بتلكَ القطع الصغيرة ألقاها في بئرٍ عميق، ولكنَّ جرجيس النَّبي رجعَ إلى الحياةِ مرَّةً أخرى، ورجعَ إلى ذلكَ الطاغوت كي يُقِيم الحُجَجَ عليه، وآمنَ بعضُ كِبارِ أعوانهِ بجرجيس النَّبيّ، لكنَّ ذلكَ الطاغية عادَ فقتل النَّبيَّ جرجيس، قَتَلَهُ بطريقةٍ أبشع، أمرهم أن يأتوْا بلوحٍ نُحاس وأوقدَ عليه النَّار حتَّى احمرَّ ثُمَّ جاءوْا بالنَّبيّ جرجيس بسطوه ربطوه على ذلك اللوح ثُمَّ وَضَعَ عليهِ الجمر والنَّار، فأحرقهُ، أحرق جسدهُ بالكامل، ثُمَّ أمرهم أن يذرُّوْا ذلكَ الرَّماد في مَهبّ الريح، فذرُّوْا رماد جسدِ النَّبيّ جرجيس الَّذي أُحرِقَ بتلكَ الطريقةِ البشعة ذَرُّوهُ في الرياح، فعاد مرَّةً أخرى بعد القتلةِ الثانية، وذهبَ إلى ذلك الطاغوت فماذا فعل فيهِ في المرَّة الثالثة؟

قتلهُ قتلةً غريبةً وعجيبةً وقاسيةً لا أجدُ ألفاظاً لوصفها، جاء بخشبتين وربط النَّبي جرجيس على الخشبتين، أنامَهُ على الخشبتين، لماذا على خشبتين؟ لأنَّهُ أراد أن يقطعهُ بالمنشار، وقطعهُ بمنشارٍ كبيرٍ من رأسهِ إلى ما بين ساقيه حتَّى سقط المنشار على الأرض، لأنَّ جسم النَّبيَّ جرجيس قد شُقَّ إلى نصفين، وبعد ذلك ماذا فعل؟ أمر بقدرٍ كبير وضعوْا فيه الزفت والكبريت والرصاص وجعلَ ذلك يغلي على النَّار وألقى بما فعلهُ بجسد النَّبي جرجيس وألقى بشقّي جسمِ النَّبي جرجيس في ذلك القِدر ومَزَجَهُ طَبَخهُ حتَّى لا يبقى للنَّبي جرجيس من أثر ورَجَعَ إليهم.

وفي رجعتهِ هذهِ صادفتهُ امرأةٌ في الطريق تشكو فقرها ومن أنَّها كانت تملكُ ثوراً وقد مات هذا الثور، فأعطاها جرجيسُ النَّبي عصاه وقال لها اضربي الثور بالعصا وقولي لهُ إنَّ جرجيس النَّبي يقولُ لكَ إرجع إلى الحياة، وفعلاً المرأةُ فعلت ذلك ورجعت الحياةُ في ذلك الثور، هذهِ رجعةٌ في الحيواناتِ أيضاً.

لكن في المرَّة الرابعة قتلهُ بقطعِ رأسهِ بالسيف ونزلَ البلاءُ عليهم، أنا لستُ بصددِ الحديثِ عن تاريخِ النَّبي جرجيس إنَّما أردتُ أن أُشير إلى ما جرى على هذا النَّبي وإلى رجعتهِ المتكرّرة.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، أتعلمونَ أنَّ الآية هذهِ مُباشرةً تأتي بعدَ الآيةِ الَّتي حدَّثتنا عن عُزَيرٍ النَّبي، الآيةُ الَّتي تحدَّثت عن عُزيرٍ النَّبي وعن رجعتهِ إلى الحياةِ بعد مئةٍ من السنين معَ حمارهِ وطعامهِ هي الآيةُ التاسعةُ والخمسون بعدَ المئتين بعد البسملةِ من سورةِ البقرة، وهذهِ آيةُ الطيور هي الآيةُ الستون بعد المئتين بعدَ البسملةِ من سُورة البقرة، سورةُ البقرة سورةُ الرَّجعة.

وفي الآيةِ الَّتي قبل آيةِ عُزيرٍ النَّبيّ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِي رِبِّهِ** - المحاججة الَّتي كانت بينَ إبراهيمَ والنمرود، هذهِ كانت في العراق، حادثةُ الطيور في الأردن، بعد هجرةِ إبراهيم من العراق إلى بلاد الشام، فالأردن هي جزءٌ من بلاد الشام، مثلما فلسطين جزءٌ من بلاد الشام - **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيْتُ**﴾، فإبراهيمُ نَبيٌّ مُعتقدٌ بأنَّ ربَّهُ هوَ الَّذي يُحيي ويُميت، هنا حينما يسألُ وهو في الأردن هذا السؤالُ يأتي في سياقِ ما رآهُ إبراهيم في تفاصيلِ عالم الملكوت مثلما حدَّثتكم، وإلَّا فهذهِ الواقعةُ كانت في العراق، وهذا الحوارُ كانَ ما بينَ إبراهيم والنمرود، والنمرودُ هو طاغيةُ العراق.

-قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيْتُ - لَمَّا سأله إبراهيمُ كيف ذلك؟ قال فإنّي أتي بإثنين من الَّذين حكمت عليهم بالموت أقتلُ أحدهما وأطلق الآخر، أعفو عنه - **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** - إبراهيمُ لم يكن راغباً في أن يُطيلَ النقاش معهُ في معنى الإماتةِ والإحياء، ذهبَ إلى ما نَزَلَ صَاعقةً على رأس ذلك النمرود، مُرادي من الصَّاعقةِ من صَاعِقَةِ الاحتجاج المحاججة - **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ..**﴾، يستمرُّ الحديث في واقعةِ عُزيرٍ النَّبي.

من سورة البقرةِ إلى سورةِ آلِ عمران وإلى الآيةِ التاسعةِ والأربعين بعد البسملة والحديثُ عن المسيح عيسى بن مريم وهو يقولُ لبني إسرائيل: ﴿**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيْهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ**﴾، الَّذينَ أحياهم عيسى فقد أرجعهم إلى الحياة، هذهِ رجعةٌ، وعيسى أحيا العديد من الأموات ورجعوْا إلى الحياةِ واستمرَّت حياتهم، مثلما كانَ ذلك قبل أن يموتوْا، هناك العديدُ من الوقائع منها ما هو مذكورٌ في كُتب النصارى في كُتب المسيحيّين، منها ما هو مذكورٌ في أناجيلهم في كتابهم المقدَّس، ومنها ما هو مذكورٌ في رواياتنا وأحاديثنا وأخبارنا، فعيسى المسيحُ أحيا العديدَ من الأمواتِ وأخرجهم من المقابرِ وعادوْا إلى الحياة وعاشوْا حياةً طويلةً، هذهِ مصاديقُ واضحةٌ للرَّجعةِ تتحقَّقُ على أرضِ الواقع يُحدِّثنا القُرآن عنها، ذكرها هنا بشكلٍ إجمالي.

وفي سورةِ المائدة في الآيةِ العاشرةِ بعد المئةِ بعد البسملة من السورة، اللهُ يُخاطِبُ المسيح عيسى: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيْهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**﴾، يُخرِجُهم من قبورهم من المقابر، ﴿**وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**﴾ يُخرِجُهم إلى رجعةٍ، إنَّهم يعودون إلى الحياة.

- فالآيةُ في سورةِ آل عمران عيسى يتكلَّمُ.

- والآيةُ في المائدةِ اللهُ يُخاطِبُ عيسى.

والآيتانِ تتحدَّثانِ عن رجوعِ أمواتٍ من أمواتِ بني إسرائيل يخرجون من مقابرهم أمام أعيُن النَّاس، بمرأىً من الجميع يخرجُ الميّتُ من قبرهِ ويعودُ إلى دارهِ إلى بيتِ أُسرتهِ، وبعد ذلك تستمرُّ حياتهُ، إنَّني أُحدِّثكم من القُرآن، إنَّها جولةٌ بينَ آيات الكتاب الكريم وهو يُحدِّثنا عن صُورٍ واقعيَّةٍ حدثت عِبرَ التاريخ البشري وليست مخصوصةً بصنفٍ مُعيَّنٍ من النَّاس.

قطعاً إذا أردنا الرجوع إلى كُتبِ التاريخ بعيداً عن القُرآنِ وأحاديثِ العترةِ الطاهرة، ففي كُتب التاريخِ هناكَ من الوقائعِ والحوادثِ الَّتي تُخبِرنا عن رجوعِ بعض الموتى إلى الحياة، من أنَّهم بعد أن يموتوْا تعودُ الحياةُ فيهم، نحنُ لا نريدُ أن نُصدِّق كُلَّ ما جاء في كُتب التاريخ، ولكن نُعطي احتمالاً لنسبةٍ قليلةٍ من تلك الوقائع، لا نريدُ أن نُصدِّقَ جميعَ ما ذُكِر في كُتب التاريخ، كُتبُ التاريخ ليست مأمونةً لا نستطيعُ أن نعتمد عليها، لكنَّ كتب التاريخ ليست منفردةً في ذكرِ هذهِ الوقائع.

الإعلامُ في زماننا، ادخلوْا إلى الشبكة العنكبوتيّة، أو تابعوْا الفضائيَّات المختلفة، تابعوْا الصحافة المجلّات الورقيّة أو الالكترونيّة، ستجدونَ الكثير من الأخبارِ والكثيرَ من الموضوعاتِ تتحدَّثُ عن عودةِ أمواتٍ إلى الحياةِ في زماننا هذا، نحنُ لا نُريدُ أن نُصدِّقَ كُلَّ هذا، ولكن وقائع وأحداث تحدَّثَ عنها التاريخ، وبعضُ هذهِ الوقائع فيها من الوثائقِ أو من الأدلَّةِ الَّتي لا يستطيعُ الإنسانُ أن يُنكرها مُطلقاً، يمكن أن يُشكِّكَ فيها، ولكنَّهُ لا يستطيعُ أن يُنكِرَها مطلقاً.

هناكَ أيضاً عالمُ الطبّ والأطبّاء، إذا أردنا أن نَلِجَ في هذا العالم فهناك الكثيرُ من الأخبارِ والحكاياتِ تتحدَّثُ عن هذا المضمون، من أنَّ أُناساً ماتوْا، ماتوْا فعلاً وبتشخيصِ الأطبّاء ونُقِلوْا رُبَّما إلى المقابر، أو نُقِلوْا إلى الثلّاجات لتثليجِ وتجميدِ أجسادهم للحفاظِ عليها، لكنَّ الحياة رجعت إليهم مرَّةً أُخرى بعد أيَّامٍ بعد أسابيع بعد أشهرٍ، لا نُريدُ أن نُصدِّقَ كُلَّ ذلك أيضاً، ولكن ليس منطقيّاً أنَّ كُلَّ هذهِ المعطيات لا توجدُ فيها نسبةٌ صحيحةٌ ولو بدرجةٍ ضعيفةٍ وقليلة.

يُضاف إلى ذلك ما يتحدَّثُ بهِ كثيرون من كبارِ العمر، أنا شخصيّاً سمعتُ الكثير من هذهِ الأحاديث من كبارِ السن يتحدَّثونَ عن وقائع عاشوها شاهدوها.

ما يتحدَّثُ بهِ أولئك المشتغلون في عالم الأموات، في عالم المقابرِ، في أماكن التغسيلِ والتكفين، الدفَّانون، حفَّارو القبور، الَّذين يشتغلونَ في عالمِ الأموات، ينقلونَ الكثيرَ من الوقائعِ ويحكونَ الكثيرَ من الحكاياتِ عن أمواتٍ رجعوْا إلى الحياة.

لكنَّ الحقائق الَّتي مرَّت في قُرآننا المفسَّرِ بتفسيرهم صلواتُ اللهِ عليهم وفي أحاديثهم يُؤيِّدُ هذهِ الحقائق وهذهِ الوقائع الَّتي قطعاً هناكَ الكثيرُ منها قد يكونُ كذباً تزويراً، قد يكونُ اشتباهاً، قد يكونُ الإنسانُ قد مرَّ في غيبوبةٍ في حالةٍ صحيَّةٍ مُعيَّنةٍ،

في توقّفٍ محدودٍ لوظائفِ الأعضاءِ في جسم الإنسان، وبعدَ ذلك رجعت الحياةُ فيه، لكن قطعاً هناكَ حالاتٌ هناك وقائع ينطبقُ عليها حديثُ الرَّجعةِ بدرجةٍ كاملة من دونِ أدنى شكٍّ وارتياب.

هناك درجاتٌ جزئيَّةٌ من الرَّجعة:
(عودةُ شبابِ زُليخة) إنَّها زوجةُ عزيزِ مِصر وقصّتها معروفةٌ مع يوسف النَّبي، ورجعت شابَّةً وتزّوجها يوسف النَّبي، هكذا تُحدِّثُنا الرواياتُ والأحاديثُ والأخبار، حتَّى كُتب التاريخ تتحدَّثُ عن هذهِ التفاصيل، فزُليخةُ بعد أن شابت وشاخت وبعد أن ذهب جمالها وحُسنها عادت مرَّةً أخرى إلى جمالها وحسنها وشبابها، هذهِ رجعةٌ ومثلُ هذهِ الواقعة هناك العديدُ من الوقائع.

أقولها لكم من الآخر: أنتم الَّذينَ تزعمون أنَّكم خُدَّامٌ للحُسين، من الآخر خدمةُ الحُسين تعني (اعْرِف إِمَامَك وَعَرِّف بإِمَامك)، هذهِ هي خدمةُ الحُسَين، من دونِ هذا تضحكون على أنفسكم، اعْرِفوا إِمَامَكُم وعَرِّفوا بإمامكم، وذلك لا يكونُ إلَّا من المصادرِ الصحيحةِ الأصيلة:
- قُرآنهم المفسَّرُ بتفسيرهم فقط.
- وحديثهم ودعاؤهم وزياراتهم ورواياتهم الَّتي تُفهمُ بحسبِ قواعدِ تفهيمهم فقط وفقط.
وذلكَ هوَ مضمونُ بيعة الغدير، أتمنَّى من كُلِّ قلبي أن تعودوْا إلى مجموعةِ حلقات (اعرف إمامك)، وبعدَ ذلك تُتْبِعُونها بمجموعةِ حلقات (هذا هو الحُسين)، ادرسوها، إنِّني أقولُ ذلك لا لأنَّني قدَّمتُها عِبرَ هذهِ الشاشة، إنَّما أقولُ هذا لأنَّها خُلاصةٌ وزُبدةٌ عقائديّةٌ من قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم ومن حديثهم المفهَّم بقواعدِ تفهيمهم.
بقي عندي قسطٌ من الوقت وأنا تركتهُ مُتعمِّداً أُريدُ أن أُجيبَ على سُؤالٍ على رسالةٍ في الحقيقةِ هي مُكالَمةٌ تليفونيّة اليوم: قبل أن أدخل إلى الاستوديو، كانَ هناكَ شخصٌ يُحدِّثني عِبرَ الموبايل، من العراق وتحديداً من النَّجف، فكان يشكو مُعاملة عائلتهِ، هوَ من عائلةٍ مُتديّنةٍ وهذهِ المشكلةُ تنتشرُ في العوائلِ المتديّنة، من عائلةٍ مُتديّنةٍ سيستانيَّةٍ، هو يشكو من الأذى الَّذي يُلحقونهُ بهِ بسببِ متابعتهِ لبرامجِ قناة القمر، هذهِ الحكايةُ موجودةٌ في واقعنا الشيعي، ليسَ في النَّجفِ فقط، أسمعُ كثيراً من مثلِ هذا في النَّجفِ وغيرِ النَّجف، في العراقِ وغيرِ العراق، هنا في لندن وفي غير لندن، حتَّى في بلادِ أوربا أسمعُ الكثير من هذا الكلام، هناك بعضُ الأشخاصِ من العوائلِ المتديّنةِ لأنَّهم يُتابِعونَ برامجَ قناة القمر وبالتحديد برامجي، عوائلهم تُحاربهم، عوائلهم تُضيّقُ عليهم، عوائلهم تصنعُ لهم المشاكل، هذهِ القضيَّةُ موجودةٌ، ورُبَّما البعضُ منكم مِمَّن يُشاهدني الآن هو مبتلىً بهذهِ القضيّة، من الذكورِ ومن الإناث من الطرفين، من الرجالِ ومن النساء، من الكبارِ ومن الصغار، فهذهِ القضيَّةُ قضيَّةٌ موجودةٌ، قطعاً ليست خاصَّةً ببرامجي، هذا الصِّراعُ في العوائلِ المتديّنةِ موجودٌ!
فكان هذا الأخ يشكو لي وهو إنسانٌ مُحترم، ما هو بصغير السن، هو كبيرُ السن، لا أُريدُ أن أتحدَّثَ عن مواصفاتهِ، فكان يشكو لي ويطلبُ حلَّاً.
في الحقيقةِ إنَّني لا أملكُ حلَّاً، لو كنتُ أملكُ حلَّاً لوجدتُ حلَّاً لمشاكلي الَّتي تُصاحِبُني منذُ أكثر من أربعين سنة، فأنا في الحقيقةِ كُنتُ مُستعجلاً لأنَّ المكالمة كانت في وقتٍ قريبٍ لدخولي إلى الاستوديو، قلتُ لهُ: سأُجيبكَ عِبرَ البثِّ المباشر.
وها أنَّي أُجيبهُ عِبرِ البثّ المباشر أقولُ لهُ: إذا كُنْتَ مُقتنعاً بما يُطرَحُ عِبرَ قناة القمر الفضائيَّة فاعْرف من أنَّكَ لستَ من شيعة المراجع، أهلُكَ من شيعة المراجع، أنتَ تقول من أنَّ عائلتك سيستانيّة، فأهلُكَ من شيعة المراجع، إذا اقتنعت بما يُطرَحُ عِبر شاشة القمر فما أنتَ من شيعةِ المراجع، نحنُ نَزعُم أنَّنا لسنا من شيعةِ المراجع، ونبرأُ إلى إمامِ زماننا من التشيُّعِ لمراجعِ النَّجفِ وكربلاء، نحنُ نَزعُمُ أنَّنا من شيعةِ الحُجَّةِ بن الحسن بنحوٍ تقريبي، ليس بنحوٍ قطعي وليسَ بنحوٍ كامل.
ما يُعرَضُ عِبر هذهِ الشاشة محاولةٌ لمنهجٍ أُقارِبُ فيهِ المنهج اليماني الَّذي هوَ أفضلُ المناهجِ زمانَ الغيبةِ الكُبرى..
شيءٌ طبيعيٌّ أن يصبُّوْا جامَ غضبهم عليكَ، بالضَّبط كعائلةٍ وهابيَّةٍ خرجَ منها فردٌ من أفرادها وصارَ شيعيَّاً بأيِّ عُنوانٍ من عناوين التشيُّع فإنَّ العائلة الوهابيَّة حينئذٍ ستصبُّ جامَ غضبها على ذلك الفرد من أفرادها، ما أنتَ كذلك الآن، أنتَ خرجت من دينٍ ودخلتَ في دينٍ آخر، أنتَ خرجت من تشيُّعٍ ودخلتَ في تشيُّعٍ آخر.
نحنُ نتحرَّكُ بعكسِ التيَّار، هناكَ التيَّارُ السائدُ في الجوِّ الشيعي هوَ تيّارُ التشيُّعِ لمراجع النَّجفِ وكربلاء، نحنُ هنا في قناةِ القمر في هذا الطرح في هذهِ البرامج نتحرَّكُ بشكلٍ مُعاكِسٍ ومضادٍّ لهذا التيَّار الكبير في الواقع الشيعي، الَّذي يتحرَّكُ بعكس التيَّار إن كانَ قادراً على مواجهةِ هذا التيَّار الكبير فليستمر، إذا لم يكن قادراً على مواجهةِ هذا التيَّار الكبير فلينسحب، فلينسحب إذا لم يكن قادراً فإنَّهُ سيقعُ على وجههِ في لحظةٍ من اللحظاتِ فاشلاً، مثلما نقول في تعابيرنا الشعبيّةِ العراقيّة (يوگع چفي على وجهه)، وإذا وقع مُنكفئاً على وجههِ فحينئذٍ لا يرى بعينيه، سيتخيَّلُ أنَّهُ يرى بعينين في مؤخّرةِ رأسهِ وهو لا يملكُ عينين في مؤخّرةِ رأسهِ، لكن سيُخيِّلُ لهُ هذا، وحينئذٍ سيُصدِرُ أحكاماً ويتبنَّى آراءً ويقول ما يقول بجهلٍ مُركَّبٍ وحماقةٍ، عيسى المسيحُ ليسَ قادراً على إشفائها، هكذا قال من أنَّهُ هو يحيي الموتى لكنَّهُ ليس قادراً على أن يُحيي عقل الأحمق، أن يُحيي بصيرة الأحمق.

هذا سيرٌ بعكسِ التيَّار يحتاجُ إلى صبر، يحتاجُ إلى مُصابرة، يحتاجُ إلى مرابطة، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ**﴾، اصبروْا على دينكم، وصابروْا عدوّكم، وأعدى أعدائنا؛ مَن هُم من أبناءِ جِلدتنا، الإمام الصادق يتحدَّثُ عن أكثرِ مراجع التقليدِ عندَ الشيعة ويقول: (هُم أَضرَرُ على شيعتنا على ضُعفَاءِ شِيعتِنَا - إنَّهم ضُعفاءُ العقيدة ما هم ضُعفاءُ المال أو ضُعفاءُ البدن - إنَّهم أضرَرُ على ضَعفاءِ شِيعتِنا مِن جَيْشِ يَزِيد عَلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِهِ)، هؤلاءِ أعدى أعدائنا من أبناءِ جِلدتنا، من نفسِ واقعنا الديني.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ** - اصبروْا على دينكم، اصبروْا على الالتزامِ بأحكامِ دينكم - **وَصَابِرُواْ** - أعداءكم صابروهم أنتم بحاجةٍ إلى مُصابرة - **وَرَابِطُواْ**﴾ رابطوا إمامكم، رابطوا إمامكم إنَّها مرابطةُ الأحرار في فناء الحُجَّةِ بن الحسن.

هذا الطريقُ الَّذي هو مُعاكِسٌ لتيارِ التشيُّعِ للمراجع يحتاجُ إلى عقيدةٍ سليمة، والعقيدةُ السليمةُ إذا ما استقرَّت في العقل تحتاجُ إلى أكسيرٍ يُمازِجُها في القلب، وذلكَ الأكسيرُ هوَ الحُسَين، والحُسينُ لا نستطيعُ أن نتواصل معهُ بشكلٍ صحيح حتَّى نكون عارفين بحقِّهِ.

هذا الطريقُ يحتاجُ إلى صبرٍ، إلى صبرٍ واعٍ، لماذا نحتاجُ إلى صبر؟

لأنَّ العقيدة السليمة إذا مازجت القلب لن تستقرَّ في القلبِ ولن تُترجم إلى عملٍ من دُونِ الإخلاص، والإخلاصُ لا نستطيعُ أن نحافظَ عليه، صدِّقوني لا أنا ولا غيري، لا نستطيعُ أن نكون مُخلصين، إلَّا إذا أحاط بنا البلاء، والبلاءُ والابتلاءُ يحتاجُ إلى صبر، هذهِ الحكايةُ من الآخر.

فمن يُريدُ أن يستمرَّ في هذا الطريق عليهِ أن يستعمل هذهِ الوصفة:

الكون مع صاحب الأمر يحتاجُ إلى عقيدةٍ سليمة أن تستقرَّ أوَّلاً في العقل، أن تُمازج القلب، لن تُمازج القلب من دونِ الحسين، ولن تكون العلاقةُ سليمةً معَ الحُسَين من دُونِ أن نعرف حقَّه، (مَنْ زَارَ الحُسَيْنَ عَارِفاً بِحَقِّهِ، مَنْ خَدَمَ الحُسَيْنَ عَارِفاً بِحَقِّهِ)، وهذا المعنى لن يُترجَم بعملٍ على أرض الواقع بإخلاص من دونِ أن يكضَّنا البلاء، لأنَّنا من دُونِ البلاء سنفقدُ إخلاصنا، وهنا نحنُ بحاجةٍ للصبرِ كي نتحمَّل البلاء، هذهِ الخلطةُ الحقيقيّةُ لديننا، إنَّني أُحدِّثكم عن هذا البرنامج الَّذي أزعمُ أنَّهُ أقربُ ما يكون إلى المنهج اليماني، أقولُ هذا لأنَّنا نسيرُ في عكسِ التيَّار، إذا افترضنا من أنَّنا نسيرُ معَ التيَّار والتيَّارُ كُلُّهُ يسيرُ بحسبِ المنهج الَّذي يُريدهُ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد فإنَّ الخلطة سيختلفُ تكوينها..

لابُدَّ من ضيقٍ ماديٍّ؛ وإنَّني حين أتحدَّثُ عن الضيق المادّي فإنَّهُ يختلفُ باختلافِ الأشخاص، أنا شخصيّاً لا أُعاني من ضيقٍ ماديٍّ في حياتي الشخصيّة، لكنَّني أُعاني من ضيقٍ ماديٍّ في مشاريع عملي، هذهِ القضيَّةُ لازمتني طولَ حياتي وإلى هذهِ اللَّحظة، ولا أعتقدُ أنَّها ستنفكُّ عنّي، ولستُ غيرَ راضٍ عن ذلك أبداً، حينما أُخطِّطُ لمشروع - إنَّني لا أتحدَّثُ عن مشاريعَ شخصيَّة، أتحدَّثُ عن المشاريع الَّتي تصبُّ في برنامجِ إحياءِ أمرِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد - أستطيعُ أن أُجهِّزَ الأموال لهذا المشروع، إنْ كانت من أموالي الشخصيَّةِ أو من أموالِ غيري مِمَّن يُساهمُ في هذا العمل، أستطيعُ أن أُجَهِّز رُبَّما ثمانينَ بالمئة، ورُبَّما تسعين بالمئة ورُبَّما أكثرَ من تسعين بالمئة وأعجزُ عن إكمالِ البقيَّةِ الباقية، في بعض الأحيان الواحد بالمئة يكونُ صَعِبَاً إلى درجةٍ هي أصعبُ بكثير من تهيئة التسعة وتسعين بالمئة، هذهِ القضيّةُ أنا واكبتها طيلة حياتي، وربَّما يوجد إنسانٌ يُعاني من ضيقٍ ماليٍّ في شُؤونهِ الشخصيَّةِ المباشرة كُلٌّ بحسبهِ، النَّاسُ أرزاقها مختلفة، مشاكلها مختلفة، لكنَّ الضيق المادّي جزءٌ مُلازم لهذا الطريق، كُلٌّ بحسبهِ، هناك ضيقٌ ماديٌّ إمَّا على طول الخط، إمَّا في مراحل متقطّعة، بالنتيجةِ الضيقُ الماديُّ، وهذا الكلامُ لا أقولهُ عن تجربةٍ فقط، أحاديثُ أهل البيت، أنا لا أملكُ وقتاً كي أدخل في التنظير.

هناك الضيقُ الماديُّ وهناك الخوفُ؛ لابُدَّ من الخوفِ في هذا الطريق، أُذكِّركُم ببيتٍ يُحدِّثنا عن واقعٍ وعن ثقافةٍ عقائديّةٍ لدعبل الخزاعي في تائيّتهِ، وقد قال هذا البيت بين يدي الإمام الرِّضا، والإمامُ أجابهُ على بيتهِ هذا بدعاءٍ دعا لهُ به، دعبل يقول:

وَإِنِّي لأَرْجُو الأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي	لَقَدْ خُفْتُ فِي الدُّنْيَا وَأَيَّامِ سَعْيِهَا

فقال لهُ الإمامُ الرِّضا: آمَنَكَ الله يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَر.

دِعبل كانَ في ذلك الوقت آمناً، في زمانِ المأمون حينما كان الإمامُ الرِّضا في طوس الأوضاعُ السياسيّةُ والأمنيّةُ كانت مُريحةً إلى حدٍ ما بالنسبةِ للعلويّين وللشيعة، لكنَّ دعبل يتحدَّثُ عن خوفٍ مُستمرٍّ، ليس بالضرورةِ أن يكون خوفاً على الحياة من ظالمٍ من قاتلٍ، ليس بالضرورةِ أن يكون خوفاً من مرض، أن يكون خوفاً من فقر، هُناكَ خوف قد يكونُ على الحياة، قد يكونُ من الفقر، قد يكونُ من المرض، قد يكونُ من أمورٍ اجتماعيةٍ مُختلفة، قد يكونُ من مُستقبلٍ مُخيف، قد يكونُ من فشلٍ في العمل، هناكَ خوف أسبابهُ تنشأ من هذا السير المعاكس للتيَّار القوي وللتيَّار الحاكم.

- وهناكَ مُعادَاةُ النَّاس.

الَّذي يستطيعُ أن يُهيئ هذهِ الوصفة فليقُل: (يَا زَهْرَاء)، وليدخل في هذا الاتجاه المعاكس لهذا التيَّار الظالم والضال، إنَّهُ تيَّارُ التشيُّع للمراجع، بمراجعهِ وبمقلِّديهم، هذا هو واقعنا الشيعيُّ المرير.